شرح قصيدة
كعب بن زهير
في النبي صلى الله عليه وسلم

للإمام أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي

حققها
ف. كرنكو

قدم لها
الدكتور صلاح الدين المنجد

دار الكتاب الجديد

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

١٣٨٩ هـ — ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

للدكتور صلاح الدين المنجد

— ١ —

قصيدة كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، التي اصطلح أهل الأدب على تسميتها « البُرْدَة » ، هي من أقدم القصائد في أدبنا العربي التي قيلت في مدح رسول الله ﷺ . وهي قصيدة لامية ، تقع في سبعة وخمسين بيتاً ، أنشدها كعبُ بن زُهير أمام رسول الله ، عندما جاء إليه مُستأمناً ، بعد أن أسلم أخوه بُجَيْر بن أبي سُلمى . وهي تجري في نظمها وسبكها ومعظم معانيها على أساليب الجاهلية في الشعر[1] .

— ٢ —

اهتم الأقدمون بهذه القصيدة إهتماماً بالغاً ، وعدّوها من أعظم ما قيل في مدح الرسول ، رغم أن ما ورد فيها عن الرسول نفسه لا يتجاوز الأبيات العشرة . وعُنى بها أهل الأدب فشرحوها ، وعارضوها ، وخمّسوها . وقد عرفنا من شروحها :

١ — شرح التبريزي . المتوفي سنة ٥٠٢ هـ .

٢ — شرح عبد اللطيف البغدادي ، المتوفي سنة ٦٢٩ هـ .

---

(١) أنظر عنها : زكي مبارك ، المدائح النبوية .

٣ – شرح ابن هشام النحوي ، المتوفي سنة ٧٦١ هـ .
٤ – شرح إبراهيم بن محمد اللخمي ، المتوفي سنة ٧٩٠ هـ .
٥ – شرح السيد عبدالله نقره كار ، المتوفي سنة ٨٠٠ هـ .
٦ – شرح الفيروز آبادي صاحب القاموس ، المتوفي سنة ٨١٧ هـ .
٧ – شرح المولى خير الدين ، معلم السلطان محمد خان الفاتح ، المتوفي سنة ٨٨٣ هـ.
٨ – شرح السيوطي ، المتوفي سنة ٩١١ هـ .
٩ – شرح ابن حجر الهيثمي ، المتوفي سنة ٩٧٣ هـ [١].

وهناك شروح كثيرة أخرى ظهرت بعد القرن العاشر الهجري .

– ٣ –

ولعل أقدم الشروح التي ظهرت هو شرح التبريزي ، إن لم يكن أول شرحها.

والتبريزي هو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن التبريزي . ذكر ياقوت [٢] أن بعضهم يسمّونه الخطيب التبريزي ، وأن الصحيح « ابن الخطيب التبريزي »[٣] . وقد كان إماماً في النحو واللغة والأدب . وُلد بتبريز سنة ٤٢١ هـ ، وتوفي في مطلع القرن السادس من الهجرة ، سنة ٥٠٢ هـ . وقد رحل في أيام شبابه إلى مصر وأخذ عن طاهر بن بابشاذ النحوي ، ورحل من تبريز إلى المعرّة ، ليأخذ عن أبي العلاء المعرّي ، وسمع الحديث من كبار المحدثين ومنهم الخطيب البغدادي ، وكذلك لقي عبد القاهر الجرجاني ، صاحب أسرار « البلاغة » وأخذ عنه . فلا غرابة أن يصبح إماماً كبيراً في اللغة والأدب والنحو بعد أن أخذ عن هذه الطبقة الممتازة من الشيوخ والعلماء . وقد درّس في النظامية ببغداد ، وأشرف

(١) أنظر . حاجي خليفة . كشف الظنون ص ١٢٣٠
(٢) ياقوت ، معجم الأدباء ٢٠ / ٢٧ .
(٣) لكن خير الدين الزركلي في « الأعلام » ذكر أنه رأى اسمه بخطه « يحيى بن علي الخطيب » رداً على ياقوت . وما أثبته التبريزي بخطه ، لا ينقض ما ذكره ياقوت ، لإن « الخطيب » صفة لعلي أبيه .

على خزانة الكتب فيها ، وسار ذكره في الآفاق ورحل اليه الناس . وترك لنا من ثمار ثقافته الواسعة مؤلفات عديدة هي :

١ – تهذيب « إصلاح المنطق » لابن السكّيت ، المتوفي سنة ٢٤٤ هـ [١].
٢ – الملخص في إعراب القرآن ، في ٤ مجلدات [٢].
٣ – ثلاثة شروح « لحماسة » لأبي تمام ، المتوفي سنة ٢٣١ [٣] .
٤ – تفسير القرآن [٤] .
٥ – شرح « اللمع » في النحو لابن جنّي ، المتوفي سنة ٣٩٢ هـ [٥].
٦ – شرح « مقصورة ابن دريد » ، المتوفي سنة ٣٢١ هـ [٦] .
٧ – شرح « المفضليّات » للمفضّل الضبّي ، المتوفي سنة ١٦٨ هـ [٧].
٨ – شرح « ديوان أبي تمام » [٨].
٩ – شرح « ديوان المتنبي » ، المقتول سنة ٣٥٤ هـ [٩] .

(١) كشف ص ١٠٨ .
(٢) كشف ص ١٢٣ ؛ وقال ابن خلكان : « رأيته في أربع مجلدات ». وفيات ٥/٢٣٩.
(٣) قال حاجي خليفة : « شرح أولاً شرحاً صغيراً ، فأورد كل قطعة في الشعر جميعاً ثم شرحها . وشرح شرحاً ثانياً بيتاً بيتاً . ثم شرح شرحاً طويلاً مستوفياً » كشف ص ٦٩٢ .
(٤) كشف ، ص ٤٤٦ .
(٥) كشف ، ص ١٥٦٣ .
(٦) كشف ، ص ١٨٠٨ .
(٧) معجم الأدباء ، ٢٠ / ٢٧ ؛ وذكر الزركلي أن منها مخطوطة بخط التبريزي في دار الكتب العامة بتونس رقم ٥٣١ م ، وعليها « شرح اختيارات المفضل الضي » .
(٨) كشف ص ٧٧١ ، وقال : « وللخطيب شرح مختصر أوله ..... ذكر شعره على سبعة أصناف : مديح ، وهجاء ، ومعاتبات ، وأوصاف ، وفخر ، وغزَل ، ومراثٍ ، وأكثرها المديح . وهو مرتب على الحروف » .
(٩) كشف ، ص ٨٦٢ .

١٠ – شرح « القصائد العشر المختارة »[١] .

١١ – شرح « سقط الزند » للمعرّي ، المتوفي سنة ٤٤٩ هـ [٢] .

١٢ – الكافي في علم العروض والقوافي [٣] .

١٣ – مقدمة في النحو [٤] .

١٤ – مقاتل الفرسان [٥] .

١٥ – تهذيب غريب الحديث [٦] .

١٦ – شرح « قصيدة بانت سعاد » لكعب بن زهير [٧] .

وكان التبريزي شاعراً رقيق الشعر ، وقد أورد له ابن الجوزي ، وياقوت ، وابن العماد الحنبلي ، والسيوطي ... وغيرهم مقطّعات من شعره .

ويمكن الرجوع إلى المصادر التالية من كتب التراجم للتوسّع في ترجمته :

١ – ابن الجوزي ، المنتظم ٩ / ١٦١ .

٢ – ياقوت ، معجم الأدباء ٢٠ / ٢٧ .

٣ – الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٣٧٢ .

٤ – ابن خلّكان ، وفيات الأعيان ٥٠ / ٢٣٨ .

٥ – السيوطي ، بغية الوعاة ٢ / ٣٣٨ .

٦ – الزركلي ، الأعلام ٩ / ١٩٧ .

٧ – كحالة ، معجم المؤلفين ١٣ / ٢١٤ .

٨ – بروكلمن : المجلد الأول ص ٣٣١ ؛ الذيل الأول ٤٩٢ .

(١) كشف ص ١٣٢٧ . وقال ياقوت : « ملكتُه بخطه » .

(٢) كشف ، ص ٩٩٢ .

(٣) كشف ، ص ١٣٧٧ ، وسماه الزركلي « الوافي » .

(٤) معجم الأدباء ، ٢٠ / ٢٨ .

(٥) معجم الأدباء ، ٢٠ / ٢٨ .

(٦) شذرات الذهب ٤ / ٥ .

(٧) معجم الأدباء ٢٠ / ٢٨ .

أما شرح « قصيدة بانت سعاد » . فقد كان المستشرق الكبير المرحوم الإستاذ فريتز كرنكو قد حققها ونشرها في عام ١٩١١ في مجلة جمعية المستشرقين الألمان ، وكان تصدر يومئذ في ليبزيغ . وكان الاستاذ كرنكو من أكثر المستشرقين علماً وتحقيقاً وأمانة ، وله في نشر تراثنا العربي يد طويلة. وقد ادّى للعرب والمسلمين فيما نشره من آثارهم خدمات جلّى . وكان قد أسلم وسمّى نفسه « سالم الكرنكوي » . وتوفي سنة ١٩٥٣ م [١] .

وهذا الشرح رواه ابو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، تلميذ التبريزي ، عنه ، والجواليقي كان من أئمة اللغة ، وتوفي سنة ٥٤٠ هـ .

بيروت – ١٩٧١

صلاح الدين المنجد

(١) أنظر ترجمته وما حقق من آثار في الأعلام للزركلي ٥ / ٣٤٦ ؛ وفيما كتبه الأستاذ محمد كرد علي في مجلة المجمع العربي ، المجلد ٩ (١٩٣١) ص ١٦٩ ؛ والمجلد ٢٣ (١٩٤٨) ص ٣٥٥ .

قصيدة كَعْبِ بن زُهَيْرٍ فى النَّبِيِّ صَلَّى اللّه عليه وسلّم٭
وشرحها للامام أبى زكريّا يحيى بن علىّ الخطيب التبريزىّ

بسم اللّه الرحمن الرحيم .

قال الشيخ الامام الاجلّ العالم أوحد الزمان ابو منصور [موهوب ابن] أحمد [بن محمد] بن الخضر الجَوَاليقىّ قال أخبرنا الشيخ الامام ابو زكريّا يحيى بن علىّ الخطيب التبريزىّ رحمه اللّه قال كَعْب بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى٭ وليس فى العرب سُلْمَى بضمّ السين غير هذا٭ يمدح النبىّ صلّى اللّه عليه وآلِه٭ أخبرنا ابو محمد الحسن بن علىّ بن محمد بن الحسن الجَوْهَرِىّ قال حدثنا أبو بكر محمّد بن العبّاس بن زكريّا بن حَيُّوَيْهْ الخَزّاز قال حدّثنا ابو بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ املاء غُرّة صفر سنة سبع وعشرين وثلثمائة قال حدّثنى أبى قال حدّثنى عبد اللّه بن عمرو قال حدثنا ابراهيم ابن المُنْذِر قال حدثنا الحجّاج بن ذى الرُّقَيْبَة بن عبد الرحمن ابن كعب بن زُهَيْر بن ابى سُلْمَى المُزَنىّ عن أبيه عن جدّه قال خرج كَعْبٌ وبُجَيْرٌ الى أَبْرَقِ العَزّافِ[1] فقال بُجَيْرٌ لكَعْبٍ اثبتْ أنْتَ فى الغنم حتّى آتى هذا الرجل يعنى النبىّ صلّى اللّه عليه وسلم وآلِه فأسمعَ خبره وأعرفَ ما عنده فأقام كعبٌ ومضى بُجَيْرٌ فعرض رَسُولُ اللّه صلّى اللّه عليه وآلِه عليه الإسلامَ فأَسْلَمَ واتّصل اسلامه بكعبٍ فقال

أَلَا بَلِّغَا عَنِّى بُجَيْرًا رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيْحَكَ هَل لَّكَا
سَقَاكَ بِهَا المَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَّةً ... وَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا
فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الهُدَى وَٱتَّبَعْتَهُ ... عَلَى أَىِّ شَىْءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكَا
عَلَى مَذْهَبٍ لَمْ تُلْفِ أُمًّا وَلَا أَبًا ... عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْرِفْ عَلَيْهِ أَخًا لَّكَا

1) Ms. العراف.

فاتّصل الشعر برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآلِه فأَهْدَرَ دَمَهُ وقال من لقى منكم كعبًا فليقتله٭ فكتب بُجَير الى كعب النجاة فانّ رسول اللّه صعّم فأهدر دمك وما أحسبُك ناجيًا وكتب اليه انّ رسول اللّه صعّم ما جاءهُ احدٌ قطُّ يشهد ان لا اله الّا اللّه وانّ محمدًا رسوله الّا قبله ولم يطالبه بما تقدّم الاسلامَ فأسلمْ واقبلْ الى رسول اللّه فلمّا ورد كتابه عليه توجّه الى رسول اللّه صعّم٭ قال كعبٌ فأنختُ راحلتى على باب المسجد وعرفت النبىّ صعّم بالصفة التى وُصفت لى وكان مجلس رسول اللّه صعّم من أصحابه مثل موضع المائدة من القوم يتحلّقون حوله حلقةً ثمّ حلقةً فَيُقْبِلُ على هؤلاء فيحدّثهم ثمّ على هؤلاء فيحدّثهم فدنوتُ من النبىّ صعّم فقلتُ أشهد أنْ لا الٰهَ الّا ٱللّٰهُ وأشهد أنّ محمّدًا رسول اللّه٭ الأمان يا رسول اللّه قال مَنْ أنتَ قلتُ كَعْبُ بن زُهَيْرٍ قال ٱلّذى يقول ما يقولُ ثمّ أقبل على أبى بَكْرٍ فاستنشَدَهُ فأنشد أبو بكر٭ سَقَاكَ بِهَا المَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَّةً٭ فقلتُ لم أَقُلْ هٰكذا انّما قُلْتُ

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ... وَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

فقال رسول اللّه صعّم مَأْمُونٌ واللّه٭ فأنشدتُهُ

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِى اليَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

بانَتْ فارَقَتْ يُقال بانَ يَبِينُ بَيْنًا وبَيْنُونَةً اذا فارق فِراقًا بعيدًا وسُعَادُ اسم امرأة وما زادَ على ثلاثة أحرُفٍ من المؤنث الذى ليستْ له علامةُ التأنيث نحو عُقاب وزَيْنَب وعَقْرَب فانّ الحرفَ الزائد على الثلاثة يجرى مجرى علامة التأنيث فلا ينصرف لذلك اذا سمّيتَ بها وامتناعُهم من دخول تاء التأنيث عليها يدُلُّ على انّهم أنزلوا الحرفَ الرابع منزلةَ تاء التأنيث والتَّبْلُ الوَجْعُ يقال تَبَلَتْ فلانةُ فلانًا